المـدخل

- أبو منصور الأزهري وكتابه التهذيب.
- الأزهـري.
- اسمه وكنيته ونسبه.
- حياته.
- علمه.
- شيوخه وتلامذته.
- مؤلفاته.
- وفاته.
- تهذيب اللغة.
- سبب التسمية.
- سبب التأليف.
- أهمية التهذيب.
- الأئمة الذين اعتمد عليهم في التهذيب.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

الأزهري

يعدّ الأزهري[1] رَحِمَهُ اللَّهُ من مشاهير العلماء البارزين في اللغة والفقه وبحكم أنه قدّم في مجال الدراسات اللغوية عملا متميزا عُدّ من أمهات كتب اللغة العربية ومن أوثق معاجمها ومن أغزرها مادة وأكثرها استيعابا، فلا غرابة أن نجد الأقلام تتهافت علىٰ الكتابة عن حياته والترجمة له[2].

(1) ينظر: ابن خلكان- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق: د. إحسان عباس - لبنان - بيروت - دار صادر - ط1 - 1390هـ/ 1971 - د. ت - ج4 - ص335.
وياقوت الحموي - معجم البلدان- لبنان - بيروت- دار صادر - ط2 - 1316هـ1895م - ج5 - ص396/ 397.
وابن كثير- البداية والنهاية - لبنان - بيروت- دار المعارف - ط2 - 1995م - ج11 - ص149/ 159.
وتاج الدين عبد الوهاب السبكي - طبقات الشافعية الكبرىٰ - تحقيق: محمود الطناحىٰ وعبد الفتاح الحلو - مصر - القاهرة - مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي - ط1 - 1384هـ/ 1965م - ج3 - ج63.
والسيوطي - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - لبنان - بيروت - المكتبة العصرية - د. ط - د. ت - ج1 - ص19.
وشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - سير أعلام النبلاء - لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط2 - 1405هـ/ 1985م - ج16 - ص315/ 317.

(2) أبو منصور الأزهري - تهذيب اللغة - تحقيق: عبد السلام هارون ومحمد النجار - مصر - القاهرة- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- ط1 - 1964م - ج1 - ص5/ 16.

obeikandl.com

المطلب الأول

اسمه وكنيته ونسبه

تنوعت الكتب التي ترجمت لأبي منصور الأزهري بين المطول فيه والمقصر، وسأقتصر علىٰ بعضها.

هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهري الهروي الشافعي أحد الأئمة الكبار في لغة العرب وآدابهم»[1].

والأزهري نسبة إلىٰ جده الأزهري، والهروي نسبة إلىٰ هراة[2] حيث ولد بها والشافعي نسبة إلىٰ مذهبه الفقهي[3].

ولد الأزهري سنةَ اثنتين وثمانين ومائتين من الهجرة (282هـ/ 895م)، بإحدىٰ مدن خراسان التي شهدت قدرا من النشاط العلمي في القرن الرابع، ولا شك أن هدا الجوَّ ترك الأثر علىٰ شخصية أبي منصور الأزهري وعلىٰ أمثاله من أهل هذه المدينة ممن عُرفوا بالجد والمثابرة في التحصيل العلمي[4].

(1) المصدر نفسه - ج1 - ص5.

(2) - هراة - بالفتح - مدينة عظيمة مشهورة، من أمهات مدن خراسان، يقول ياقوت الحموي: «ولم أر بخراسان عند كوني بها في سنة 607 مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخر ولا أكثر أهلاً منها وقد أصابتها عين الزمان، ونكبتها طوارق الحدثان، وجاءها الكفار من التتر فخربوها وذلك في سنة 618 ونسب إليها خلق من الأئمة والعلماء، منهم الحسين بن إدريس بن المبارك أحد مشهوري المحدثين بهراة وكان من الثقات» ياقوت الحموي - معجم البلدان - ج5 - ص396/ 397.

(3) ينظر: تاج الدين عبد الوهاب السبكي - طبقات الشافعية الكبرىٰ - ج3 - ص63.

(4) ابن خلكان - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ج4 - ص335.

المطلب الثاني

حياته

أقام الأزهري صدر حياته في مدينة هراة، وسمع بها من الحسين بن إدريس (ت 301هـ) وطائفة من علمائها، ويبدو أنه تخصص في بادئ الأمر في دراسة فقه الشافعي، وبرز فيه إلا أنه تحول بعد ذلك إلىٰ دراسة اللغة، وساعده علىٰ ذلك أنه اختلط ببعض القبائل العربية الفصيحة فترة طويلة؛ حيث وقع في الأسر لديهم، فقد حدث أيام فتنة القرامطة سنة 312هـ في أيام المقتدر بالله المعتضد أن كان الأزهري مسافرًا إلىٰ الحج وعند عودته أسرته الأعرابُ، وعاش فترة طويلة بين عرب هوازن وقد اختلط بهم تميم وأسد، وهؤلاء جميعًا من فصحاء العرب[1].

يحكي ذلك الأزهري بنفسه في معجمه التهذيب فيقول: «وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضتِ القرامطة الحجاج بالهبير[2] وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربًا عامتهم من هوازن واختلط بهم أصرام من تميم وأسد بالهبير، نشأوا بالبادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النُّجَع، ويرجعون إلىٰ أعداد المياه، ويرعون النَّعم، ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدوية، وقرائحهم التي اعتادوها، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في إسارهم دهرًا طويلاً ... واستفدت من مخاطباتهم، ومحاورة بعضهم بعضًا ألفاظًا جمة، ونوادر كثيرة، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب، سترتها في مواضعها إذا أتت قراءتك إن شاء الله»[3].

---

(1) ينظر: ابن الأثير - الكامل في التاريخ - ج8 - ص147.
وابن كثير- البداية والنهاية - ج11 - ص149/ 159.
والأزهري - تهذيب اللغة - تقديم: د. أحمد عبد الرحمن مخيمر - لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية - ط1 - 1425هـ/ 2004م - ج1 - ص5.

(2) **الهبير**: رمل في طريق مكة. ينظر: ابن منظور - لسان العرب - ج5 - ص249.

(3) أبو منصور الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص7.

إن النص السابق -والذي تحدث فيه الأزهري عن أسره- يزود الباحث ببعض المقررات العامة بصاحبه وكذا بعض صفاته وأهمها:

* كان لوجود الأزهري دهرًا طويلاً بين هؤلاء العرب الفصحاء، وتنقله معهم من مكان لآخر، ومعايشته لهم، وسماعه لمخاطباتهم أكبر الأثر في تكوُّن الشخصية اللغوية ونضوجها عنده، مما ساعده في جمع ثروة لغويةهائلة، قوامها السماع والمشافهة والمشاهدة، وهذه من أهم المميزات التي امتاز بها الأزهري علىٰ أقرانه.

* الأسر يجعل الإنسان نكرة خامل الذكر، مما ربَّىٰ في داخله حب الظهور والسطوع والتميز وذلك من خلال علمه وأدبه وفقهه، فأراد للتهذيب أن يكون درة فريدة في عقد المعجمات، وشمسًا ساطعة في سماء العربية، وذلك بما جمع فيه من معارف في شتىٰ العلوم، ونوادر في اللغة لم يُسبق إليها.

* الأسر يربىٰ في قلب الإنسان روح التمرّد وعدم الإذعان والتسليم، مما جعله يتمرد علىٰ مرويات اللغويين، فلا يقبلها إلا بشروطها، فإن صحت له سماعًا أو رواية عن ثقة قَبِلها، وإلا ردّها.

* إن الأسر الذي تعرّض له الأزهري وما حدث له فيه من التقاء الأعراب، كل هذه الأمور وغيرها، كانت دعائم ومددًا ورافدًا لأبي منصور الأزهري للتحليل اللغوي والمعجمي الدقيق لكلام العرب وحفظ شواهدها بأنواعها المتعددة.

بعد الأسر الذي أقام فيه دهرًا طويلاً، كما يقول هو بنفسه، رجع إلىٰ بغداد وكلهُ شوقٌ إلىٰ دراسة اللغة -وقد استفاد من الألفاظ العربية ما شوقه إلىٰ استيفائها- وولوع بالبحث عن معاني الألفاظ والاستقصاء فيها، وأخْذِها من مظانها، وإحكام الكتب التي تأتَّىٰ له سماعها من أهل الثبت والأمانة للأئمة المشهورين وأهل العربية المعروفين، وحضر مجالس أهل العربية في بغداد، ويبدو أنه لم يمكث في بغداد طويلاً، ثم رجع إلىٰ هراة، واشتغل بالفقه علىٰ المذهب الشافعي، وأخذ اللغة عن مشايخ هراة، وأقام بها إلىٰ أن حضرته الوفاة[1].

(1) ينظر: السيوطي - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة -ج: 1 - ص19.
الأزهري - تهذيب اللغة -تقديم: عبد السلام هارون - ج1 - ص8.

المطلب الثالث

علمه

للأزهري قدم راسخة في علوم الدين واللغة، وكان فقيهًا شافعي المذهب -كما أشرت في البداية-، لكنه غلب عليه الاشتهار باللغة بسبب معجمه الكبير تهذيب اللغة، فقد كان «جامعًا لشتات اللغة، مطلعًا على أسرارها ودقائقها»[1].

قال عنه تاج الدين السبكي: «كان إمامًا في اللغة، بصيرًا بالفقه، عرافًا بالمذهب الشافعي، عالي الإسناد، ثخين الورع، كثير العبادة والمراقبة، شديد الانتصار لألفاظ الشافعي، متحريًا في دينه»[2].

ووصفه الذهبي بالعلامة، ثم قال عنه: «وكان رأسا في اللغة والفقه ثقة ثبتًا دينًا»[3].

وهذا يدلنا على مكانة الرجل وفضله وعلمه، وكيف كان عالمًا مدققًا، وفقيهًا ملتزمًا يتحرّ الحقّ والصدق في كل ما يسمعه أو يكتبه. فقد كان الأزهري أمينًا في نقله، ينسب الأقوال -في الكثير الغالب- لأصحابها، ويبدو أنه أفاد ذلك من رجال الفقه والحديث، وهذا الأسلوب يدلّ على أمانته العلمية، وهذا ما يطلب في كل بحث علمي.

والأزهري أيضا عالم في التفسير؛ إذ ألّف كتابا في التفسير سمّاه التقريب في التفسير، كما أنه ضمّن معجمه العديد من أقوال المفسرين عند ذكره شواهد القرآن الكريم وقراءاته المختلفة أو عند شرحه لمادة معجمه الغزيرة، وهذا يشهد برسوخه في علوم الشريعة والدين واللغة بل يصرح بذلك في المقدمة بقوله:

(1) ابن خلكان - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ج4 - ص335.

(2) تاج الدين عبد الوهاب السبكي - طبقات الشافعية الكبرى - ج3 - ص64.

(3) شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - سير أعلام النبلاء - ج16 - ص316.

obeikandi.com

«وكتابي هذا وإن لم يكن جامعًا لمعاني التنزيل وألفاظ السنن كلّها فإنه يَحُوز جملاً من فوائدها ونُكتًا من غريبها ومعانيها غير خارج فيها عن مذاهب المفسِّرين ومسالك الأئمة المأمونين من أهل العلم وأعلام اللغويّين المعروفين بالمعرفة الثاقبة والدّين والاستقامة»[1].

بهذا العلم الذي امتلك ناصيته هرع إليه الطلاب والأصحاب وحتىٰ الشيوخ والأساتذة للتقرب أليه، حتىٰ قال فيه ابن كثير في الكامل فإن من يصحب مثل الأزهري ويقرأ كتابه التهذيب يكون فاضلاً»[2].

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص7.

(2) ابن الكثير - الكامل في التاريخ - ج8 - ص5.

obeikandl.com

المطلب الرابع

شيوخه وتلامذته

أولاً: شيوخه

لقد تتلمذ الأزهري علىٰ عدد لا بأس به من علماء عصره، سواء في مسقط رأسه هراة أم في العراق، والشاهد علىٰ كثرتهم اعتمادُه عليهم في جلّ أبواب معجمه، كما أنه بدأ كتابه بباب سماه: «ذكر الأئمة الذين اعتمادي عليهم في ما جمعت في هذا الكتاب» وباب آخر سماه «طبقات أخرىٰ أدركناهم في عصرنا» حيث ذكر الذين أخذ عنهم مشافهة أو سماعا وعلىٰ حسب الطبقات التي أوردها[1].

وقد جمع الأزهري من شيوخه أصحابَ اللغة والتفسير والفقه، أذكر منهم[2]:

1- الحسين بن إدريس بن المبارك (ت 301هـ).

2- أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ).

قال فيه الأزهري: «حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب -يعني كتاب المعاني- فألفيت جماعة عنده يسمعونه منه وكان متقدما في صناعته بارعًا صدوقًا ... وما وقع في كتابي له من تفسير القرآن من كتابه»[3].

3- أبو بكر بن السراج (ت 312هـ).

4- أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوىٰ (ت 317هـ).

---

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص8/ 27.

(2) ينظر: تاج الدين عبد الوهاب السبكي - طبقات الشافعية - ج2 ص106.
والأزهري - تهذيب اللغة - تقديم عبد السلام هارون - ج1 - ص5/ 16. - ج1 - ص7/ 10.

(3) الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص28.

5- إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه (ت 323هـ).

6- أبو بكر بن الأنباري (ت 328هـ).

يقول فيه الأزهري عند الكلام علىٰ ابن قتيبة: «ورأيت أبا بكر بن الأنباري ينسبه علىٰ الغفلة والغباوة وقلة المعرفة»[1].

7- أبو الفضل محمد بن أبىٰ جعفر المنذري الهروي (ت 329هـ). وهو أكبر شيوخه.

8- أبو محمد المزنىٰ (ت 361هـ).

والحق أن إحصاء شيوخ الأزهري يحتاج إلىٰ دراسة طويلة مصدرها الأول مقدمة التهذيب[2].

ثانيًا: تلامذته

ما إن عرف الناس الأزهري وذاع صيته في أنحاء المشرق حتىٰ ضُربت إليه أكباد الإبل وهرع الطلاب إلىٰ مجلسه ينهلون من علمه ويأخذون فقهه وفتواه، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء عديدة لطلابه، منهم[3]:

1- أبو عبيدة أحمد بن محمد الهروي.

2- الشار أبو نصر.

3- أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي.

4- أبو يعقوب القراب لإسحاق بن إبراهيم بن محمد بن أحمد السرخصي.

---

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص31.

(2) المصدر نفسه - ج1 - ص8/ 38.

(3) ينظر: ابن الأثير - الكامل في التاريخ - ج8 - ص5.
وياقوت الحموي - معجم البلدان - ج3 - ص309.
والسيوطي - بغية الوعاة - ج1 - ص213.

obeikandl.com

5- أبو ذر عبد بن أحمد الهروي.

6- أبو عثمان سعيد القرشي.

7- الحسين الباشاني.

8- علي بن أحمد بن خرمويه.

obeikandl.com

المطلب الخامس

مؤلفاته

ترك الأزهري كتبًا ومؤلفات علمية كثيرة تشهد بتفوقه وعلمه ورسوخه في العلم، منها[1]:

1- تهذيب اللغة وهو محل هذه الدراسة.

2- كتاب الأدوات.

3- التقريب في التفسير.

4- تفسير أسماء الله ﷻ.

5- تفسير إصلاح المنطق لابن السكيت.

6- تفسير السبع الطوال.

7- تفسير شعر أبي تمام.

8- الحيض.

9- تفسير شواهد غريب الحديث لأبي عبيد.

10- الرد على الليث.

11- علل القراءات.

12- كتاب الروح وما ورد فيها من القرآن والسنة.

ولا أريد أن أطيل الحديث عن حياة الأزهري وفضله وغير ذلك من الأمور المتصلة به، فقد تحدثت عن ذلك كتب التراجم بما فيه الكفاية.

(1) ينظر: تهذيب اللغة - الأزهري - تقديم عبد السلام هارون - ج1 - ص13/ 15.

obeikandi.com

المطلب السادس

وفاته

يكاد المؤرخون يجتمعون على أن وافته كانت بهراة سنة سبعين وثلاثمائة (370هـ) في ربيع الآخر منها، وقيل في أواخرها، وقيل سنة إحدى وسبعين (371هـ) حيث يذكرون أنه توفي فجأة دون مرض[1].

(1) ينظر: عبد الحي بن أحمد الحنبلي - شذرات الذهب - تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط. ومحمد الأرنؤوط - سوريا - دمشق - دار بن كثير - ط1 - 1406هـ/ 1985 - ج3 - ص72. والذهبي - سير أعلام النبلاء - ج16 - ص316.

obeikandl.com

المبحث الثاني

كتاب التهذيب

معجم تهذيب اللغة للإمام أبىٰ منصور الأزهري من أهم معجمات اللغة، إذ لم يقتصر علىٰ اللغة وعلومها فقط، لكنه يعد موسوعة ثقافية في شتىٰ المعارف والعلوم التي كانت علىٰ عصر الأزهري، فقد جمع فيه معارفه وثقافاته اللغوية والتفسيرية ومعارف عن القراءات القرآنية والسنة والفقه وعن كلام العرب، إلىٰ غير ذلك من المعارف المبثوثة في صفحات معجمه.

obeikandl.com

المطلب الأول

سبب التسمية

يحدثنا الأزهري عن سبب تسميته له بهذا الاسم، فيقول: «وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة، لأني قصدت بما جمعت فيه نفيَ ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها، وغيرها الغُتْم عن سننها، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحصر علىٰ تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلىٰ العرب»[1].

يظهر من كلام الأزهري هذا أنه كان صاحب شخصية بارزة، فلم يكن بَبَّغاء يردد كلام الآخرين، لكنه كان يحاور ويناقش ويضيف من ثروته اللغوية ومطالعاته -الكثير الذي لم يسبق إليه فيما تقدمه من معجمات، كما أنه كان يتثبت، فلا يأخذ إلىٰ ما صح عنده.

كما أن عنوان كتابه نفسه يبين هدفه من تأليفه؛ فقد قصد من ذلك أن يهذّب اللغة، ويخلصها مما علق بها من شوائب.

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص54.

obeikandl.com

المطلب الثاني

سبب التأليف

يذكر الأزهري السبب المباشر من تأليفه في المقدمة بقوله: «وقد دعاني إلىٰ ما جمعتُ في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها واستقصيتُ في تتبُّع ما حصَّلت منها والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها التي احتجَّ بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها خلالٌ ثلاثٌ:

منها تقييد نكت حفظتُها ووعيتُها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيَّات إذ كان ما أثبتَه كثيرٌ من أئمةِ أهل اللغة في الكتب التي ألّفوها والنوادر التي جمعوها لا ينوبُ منابَ المشاهدة ولا يقوم مقام الدُّربة والعادة.

ومنها النصيحة الواجبة علىٰ أهل العلم لجماعة المسلمين في إفادتهم ما لعلَّهم يحتاجون إليه.

والخلة الثالثة هي التي أكثر القصد أني قرأت كتبًا تصدَّىٰ مؤلفوها لتحصيل لغات العرب فيها مثل كتاب العين المنسوب إلىٰ الخليل ثم كتب من احتذىٰ حَذْوَه في عصرنا هذا وقد أخلَّ بها ما أنا ذاكره من دَخَلها وعَوارها بعقب ذكرىٰ الأئمةِ المتقنين وعلماء اللغة المأمونين علىٰ ما دوّنوه من الكتب وأفادوا وحصَّلوا من اللغات الصحيحة التي روَوها عن العرب واستخرجوها من دواوين الشعراء المعروفين وحفظوها عن فصحاء الأعراب»[1].

الملاحظ من هذا الكلام أن سبب تأليف الكتاب يرجع إلىٰ أهداف ثلاثة وهي:

1- تقييد ما سمعه وحفظه من أفواه العرب الذين شاهدهم وأقام بينهم.

2- النصيحة الواجبة علىٰ أهل العلم لجماعة المسلمين.

3- تصحيح الأخطاء الواردة في كتب اللغة قبله.

---

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص17.

المطلب الثالث

أهمية كتاب التهذيب

يمكن أن يطلق علىٰ التهذيب مصطلح دائرة معارف أو الموسوعة اللغوية الشاملة، ولا يعرف قدره ومكانته «حق المعرفة إلا من نظر فيه طويلاً وتتبع منهجه الوثيق في تفسير اللغة، والأمانة الصادقة التي كان يستشعرها الأزهري وهو يصنع كتابه»[1].

وحسبنا في ذلك ما قاله ابن منظور حين جعله عمدة أصوله في معجمه لسان العرب: «ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي -رحمهما الله- وهما من أمهات كتب اللغة علىٰ التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق»[2].

وقال في موضع آخر: «وأنا مع ذلك لا أدعي فيه -أي لسان العرب- دعوىٰ فأقول شافهت أو سمعت أو فعلت أو صنعت أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت؛ فكل هذه الدعاوىٰ لم يترك فيها الأزهري وابن سيدة لقائل مقالا، ولم يخليا فيها لأحد مجالا، فإنهما عينا في كتابيهما عمّن رويا وبرهنا عمّا حويا ونشرا في خطيهما ما طويا، ولعمري لقد جمعا فأوعيا، وأتيا بالمقاصد ووفيًّا»[3].

لقد جعل ابن منظور تهذيب اللغة والمحكم من خيرة المعجمات، بل عدّ

(1) نفسه ج1 - ص56.

(2) ابن منظور - لسان العرب - لبنان - بيروت - دار إحياء التراث العربي- ط1 - 1408هـ / 1988م - ج1 - ص11.

(3) المصدر نفسه - ج- ص7/ 8.

obeikandi.com

غيرهما تابع لهما، وأنهم لم يتركا مجالا للباحثين بعدهما للزيادة في المجال اللغوي والمعجمي.

ومن أهم ما يميز تهذيب اللغة تلك المنهجية العلمية في المعالجة، والدقة اللغوية في الشرح، والاستشهاد بأنواع الشواهد وذلك في «استخدام أسلوب الضبط بالحركات أو بالحروف أو بالرسم والصورة أو بالمثال»[1].

والمراد من الرسم والصورة أن الأزهري يصور المعنىٰ كأنه قد امسك بريشة ورسم لنا لوحة فنية يظهر فيها جميع ملامح المعنىٰ.

وكذلك نجد أن الأزهري «قد حشاه بما سمعه مشافهة من الأعراب، وعنىٰ برواية اللغة من العلماء الأثبات المتقنين، ونفىٰ ما لم يثبت عنده»[2].

ومن الظواهر الهامة في الكتاب -أيضًا- عناية المؤلف بالشواهد القرآنية والحديثية عناية كبيرة فاق فيها غيره من اللغويين الذين رأينا آثارهم، والسبب في ذلك قريب واضح يدل عليه عناية المؤلف نفسه بربط القرآن الكريم والدين باللغة، فهذا الارتباط هو الذي ولَّد عنده هذه العناية الفائقة، وكان يستشهد بالقراءات القرآنية المختلفة.

كذلك عنايته واهتمامه بالنوادر، وسبب هذا مخالطته للأعراب ومعايشته لهم أيام أسره، ومن مظاهر هذه العناية أنه أفردها بالحديث والإشارة إليها.

أما الجديد الذي انفرد به الأزهري في معجمه عمن سبقه، وتميز به عليهم فكان في المواد اللغوية؛ إذ زاد علىٰ مادة العين والجمهرة كثيرًا من المواد والمعاني، بل الأقوال التي تفسر لفظًا واحدًا ذا معان متقاربة وربما واحدة، وصدرت من لغويين مختلفين، وفحص ألفاظه فحصًا شديدًا، بل لا تكاد لفظة من مادته إلا وأتىٰ لها من شاهد من القرآن أو الحديث أو كلام العرب، أو يجمع بين كل ذالك.

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص385.

(2) نفسه - ج1 - ص7.

المطلب الرابع

الأئمة الذين اعتمد عليهم في التهذيب

تحدث الأزهري عن العلماء الذين كان يرجع إليهم في معجمه، وقد ذكر طبقاتهم الخمس في مقدمة كتابه[1]، ومن أبرز هؤلاء:

من الطبقة الأولىٰ: أبو عمر بن العلاء، وخلف الخمر، والمفضل بن محمد الضبي.

ومن الطبقة الثانية: أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، وأبو عمرو الشيباني، وأبو عبيدة، معمر بن المثنىٰ، والأصمعي، واليزيدي، والكسائي والفراء وسيبويه، وغيرهم.

ومن الطبقة الثالثة: أو عبيد القاسم بن سلام، وابن الأعرابي واللحياني، ونصير الرازي، وأبو حاتم السجستاني، وابن السكيت، وغيرهم.

ومن الطبقة الرابعة: شمر بن حميد، وثعلب، والمبرد.

ومن الطبقة الخامسة: الزجاج، وابن الأنباري، ونفطويه.

هذا الكم الهائل من العلماء الذين اعتمد عليهم الأزهري شاهد كبير علىٰ الدقة التي امتاز بها هذا المعجم، وعلىٰ التحري الذي اتصف به صاحبه.

وغاية القول، فإنه مهما يكن من أمر يبقىٰ تهذيب اللغة للأزهري أكثر معجمات القرن الرابع وما سبقه استيعابًا للغة، وأكثرها استعمالا للشواهد بأنواعها وأدقها تعاملا مع المعلومة المقدمة للقارئ.

وهو -كما سبق أن ذكرتُ- دائرة معارف، وموسوعة لغوية فيه اللغة والقراءات والتفسير والحديث والفقه والنبات والصحارىٰ والجبال والحيوان إلىٰ غير

(1) نفسه ج1 - ص9/ 35.

ذلك من عناصر الطبيعة العربية والبيئة البدوية والحضارة الإسلامية، وقد صور لنا حياة العربي أصدق تصوير، معتمدًا علىٰ السماع والمشاهدة والمعاينة، والتهذيب يجد فيه الباحثون في أصول اللغة وفنون العربية، ضالتهم المنشودة، يغرف كل منهم ما يشاء منه.

وقد كان للتهذيب أثر كبير في المعجمات بعده، وقد سبق ذكر كلام ابن منظور في التهذيب وفضله بين معجمات العربية، فلو لم يكن للتهذيب من أثر في مؤلفات المتأخرين غير كونه أولَ أصول لسان العرب لابن منظور لكفاه شرفا وفضلا؛ ذلك أن تحليل عناصر المادة في لسان العرب بحثٌ ينتهي إلىٰ أن العمدة فيه نصُ التهذيب، وهو ما يبين قيمة الكتاب ويبرز أهميته وأثره.

وهكذا نجد أن الأزهري لم يكن مجردَ ناقل، بل هو عالم فذ، وعليم باللغة، يميّز بين جيدها ورديئها، ويكثر من الاستدلال علىٰ ما يأتي به من مادة لغوية.

obeikandl.com